عناية السنّة النّبوية بالوقاية من الأمراض
- حديث الأعرابي أنموذجا -

د. مختار نصيرة
جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية-قسنطينة

تمهيد:

إن مظاهر ورحمة الله عز وجل متعددة ومتلونة، لا تعد وتحصى، في مقدمتها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وما ورد عنه من أحكام وحكم، فكما برزت رحمته تعالى في مظهر هداية الناس إلى الحق وإلى طريق مستقيم، برزت أيضا في مظهر الحفاظ على النفس، وذلك بالحذر و المراقبة حتى لا يقع الإنسان فريسة لأمراض قد تكون عواقبها غير حميدة عليه، إلا أن يبتليه الله عز وجل بذلك...

وقد وردت كثير من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم توجه المسلم إلى أخذ الحذر و أسباب الوقاية لتجنب الأمراض المهلكة بالنفس، و لا يعد هذا خارجا عن إطار الوحي، بل من جملة ما يوحى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[1]، فالنبيّ صلى الله عليه وسلم لم يكن يوما عالما

([1]) النّجم: الآية 3، 4

بيولوجيا، ولا طبيبا متخصصا، و لا خبيرا بيئيا، بل كان نبيا مرسلا من رب العالمين لهداية الناس من الظلمات إلى النور.

ومن جملة ما صحّ وثبت عنه صلى الله عليه وسلم عدد من الأحاديث الناهية عن قطع البول وحقنه في عدد من المواقف المختلفة، ولم يلحظ الصحابة رضي الله عنهم وقتئذ إلا الحِكم التشريعية التعبدية فحسب، دون الالتفات إلى غيرها من الحِكم و المقاصد ذات المرامي البعيدة، لأن الكم المعرفي العلمي لديهم دون إدراك القضايا العلمية الدقيقة التي يشير إليها النبي صلى الله عليه وسلم.

وحتى لا يظنن أحد أن ديننا الحنيف بعيد عن المتطلبات الإنسانية، والحاجات الضرورية، وأنه لا يهتم بحفظ النفس ورعايتها، وأنه جزء من وحي الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم، أردنا أن نبرز هذا الجانب الإعجازي العظيم المتمثل في توضيح المقاصد الصحية من خلال حديث الأعرابي الذي بال في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مركزا فيه على ما يفيد حفظ الصحة، والوقاية من الأمراض التي تصيب الجهاز البولي وبعض أعضاء الجهاز التناسلي للإنسان.

المبحث الأول ـ تخريج حديث الأعرابي ودراسته

أولا ـ نص الحديث و تخريجه:

عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه: «أنَّ أعرابياً بالَ في المسجدِ، فقاموا إليه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **لا تُزرِموه**. ثم دعا بدلوٍ من ماء فصُبَّ عليه». اللفظ للبخاري.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه: «أنَّ أعرابياً بال في المسجد، فثار إليه الناسُ ليَقَعوا به، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **دَعوهُ** وأهريقوا على

بولهِ ذَنوباً من ماء أو سَجْلاً من ماء . فإنما بُعِثتم مُيسِّرين ولم تُبعثوا مُعسرين». واللفظ للبخاري.

فهذا الحديث أخرجه أصحاب الصحاح، والسنن، والمسانيد، والموطآت.

فحديث أنس أخرجه البخاري[1]، ومسلم[2]، والنسائي[3]، وابن ماجه[4]، والبيهقي[5]، وابن خزيمة[6]، وأبو عوانة في مسنده[7] وغيرهم.

وحديث أبي هريرة أخرجه البخاري[8]،والنسائي[9]، والبيهقي[10]، وابن خزيمة[11]، وابن حبان[12]، و الشافعي[13]، وأحمد[1] وغيرهم.

([1]) الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب "الرفق في الأمر كله، 2242/5 ح5679.

([2]) الصحيح، كتاب الطهارة، باب "وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء حاجة إلى حفرها"، 236/1 ح284.

([3]) السنن الصغرى"المجتبى"، كتاب الطهارة، باب "ترك التوقيت في الماء"،47/1 ح53، وفي باب "التوقيت في الماء"، 175/1 ح329.

([4]) السنن، كتاب الطهارة، باب "الأرض يصيبها البول كيف تغسل"، 176/1 ح 528.

([5]) السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب "طهارة الأرض من البول"، 427/2 ح 4036.

([6]) الصحيح، باب "الزجر عن قطع البول على البائل في المسجد منه"، 150.149/1ح296

([7]) المسند، "بيان تطهير الأرض التي يصلي عليها إذا أصابها البول..."، 183/1 ح570.

جميعهم بألفاظ مقاربة للفظ البخاري.

([8]) الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب" قول النبي صلى الله عليه وسلم: يسروا ولا تعسروا"، 2269/5 . 2270 ح5777.

([9]) السنن الصغرى"المجتبى"، كتاب الطهارة، باب "التوقيت في الماء"، 175/1 ح330.

([10]) السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب "طهارة الأرض من البول"، 428/2 ح 4037.

([11]) الصحيح، باب "الزجر عن قطع البول على البائل في المسجد منه"،150.149/1ح299

([12]) الصحيح، باب "ذكر البيان بأن النجاسة المتفشية على الأرض إذا غلب عليها"، 245/4

([13]) المسند، 282/2 ح7786 ، 7787

فهذا الحديث بإسناديه ثابت صحيح باللفظ المذكور، والاختلاف الوارد في بعض طرقه لا يؤثر في صحة أصل الحديث برواية أنس وأبي هريرة التي خرّجها أصحاب الصحاح و السنن و غيرهم.

وقد وردت بعض الألفاظ الزائدة في متن هذا الحديث بأسانيد وطرق لا يعول عليها حديثيا.(2)

وورد في النهي عن قطع البول حديث آخر أخرجه الطبراني عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ:«أن الحسن أو الحسين بال على بطن النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تزرموا ابني أولا تستعجلوه فتركه حتى قضى بوله فدعا بماء فصب عليه».(3)

ثانيا ـ موضع الاستدلال بهذا الحديث:

إن الشطر الحديث المتعلق بدراستنا في هذا البحث، هو قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تُزرِموه"، عند البخاري، ومسلم و النسائي.

و" دَعوهُ"، عند البخاري.

و"لا تزرموه دعوه"، عند مسلم.

و" فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم"، عند مسلم و البيهقي.

و" فصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم"، عند أبي عوانة.

و" فكأنهم عجلوا عليه فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم"،عند الشافعي.

---

(1) المسند، ص 28 ح71. جميعهم بألفاظ مختلفة نحو لفظ البخاري.

(2) أخرجها جماعة منهم: عبد الرزاق في مسنده، باب "البول في المسجد" عن طاووس مرسلا، 425/1 ح1661 وفي لفظه احفروا مكانه واطرحوا عيه دلوا من ماء"، وأعله أبو زرعة فيما نقله ابن أبي حاتم عنه في العلل، 37/1

(3) المعجم الأوسط،204/6 ح6197، وقال الهيثمي :"إسناده حسن إن شاء الله لأن في طريقه وجادة"، مجمع الزوائد، 285/1

والزَّرم في لغة العرب: يعني القطع، زَرِمَ البول إذا انقطع، وتقول العرب: الزَّرِمُ في الناقة التي تقطَّع بولها، ومنه حديث الأعرابي: لا تُزرموه، أي لا تقطعوه.(1)

فهذه الألفاظ والعبارات جميعها متّحدة المعنى مع اختلاف مبانيها، فهي تعني النهي عن قطع البول وحبسه لحكمة ومقصد شرعي.

ثالثا ـ الأحكام والفوائد التي استفادها العلماء من هذا الحديث:

تناول حديث الأعرابي جملة من الأحكام القواعد الفقهية والدعوية، فصّل فيها القول العلماء الذين تناولوا هذا الحديث بالشرح، لكن الجانب الذي لم يوله كثير منهم الاهتمام هو المدلول المقاصدي العلمي لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تزرموه دعوه"، حيث اكتفوا بربط الغرض منه بالخشية من زيادة تنجس المسجد أوالثوب أو البدن فقط، دون التعريج إلى غيرها من المقاصد والأغراض، وهذا لأن بيئتهم على اختلافها زمنيا ومكانيا وبيئيا، لم تحض بالأسباب العلمية الكافية التي تساعد في الكشف على فوائد وأغراض النصوص الشرعية، إلا ما أشار إليه بعضهم من الأضرار المترتبة عن قطع البول أو حبسه، وفيما يلي عرض لنصوصهم:

1 ـ قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: «قال العلماء: كان قوله صلى الله عليه وسلم دعوه لمصلحتين:

إحداهما ـ أنه لو قطع عليه بوله تضرر، وأصل التنجيس قد حصل، فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به.

والثانية ـ أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد، فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد». (1)

---

(1) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة زرم، 22/3.

2 ـ وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: «النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل لهم لم نهيتم الأعرابي، بل أمرهم بالكف عنه للمصلحة الراجحة، وهو دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما».(2)

3 ـ نقل الإمام الزرقاني في شرح الموطأ عن الإمام المازري قوله: «فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتركوه" يبول، لئلا يؤدّي قطع البول إلى ضرر كبير يحصل له، وقد يغلبه قبل الخروج من المسجد فيؤدّي إلى انتشار النجاسة فيه، وتنجيس مكان واحد أخف من تنجيس أماكن، وأيضاً قد يغلبه فيخرج في ثيابه فيؤدي إلى تنجيسها، وتنجيس بدنه». (3)

4 ـ وحين تعرض **الإمام الصنعاني في كتابه سبل السلام** لفوائد حديث الأعرابي، قال: «ومنها دفع أعظم المضرتين بأخفهما؛ لأنه لو قطع عليه بوله لأضر به، وكان يحصل من تقويمه من محله، مع ما قد حصل من تنجيس المسجد، تنجيس بدنه وثيابه ومواضع مّن المسجد غير الذي قد وقع فيه البول أولاً». (4)

5 ـ وتناول هذه المسألة حديثا **الشيخ محمد بن صالح العثيمين** تناولا عمليا، وذلك في معرض ذكره لأسباب نهي الشرع عن حقن البول أو الغائط، فقال: «الحاقن هو المحتاج إلى البول، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن

---

(1) شرح صحيح مسلم، 191/3.

(2) فتح الباري، 1/ 325

(3) شرح الزرقاني على الموطأ، 130/1.

(4) سبل السلام، 1/ 4 . 5.

الصَّلاةِ في حضرة طعام، ولا وهو يُدافعه الأخبثان.[1] **والحكمة من ذلك**: أن في هذا ضرراً بدنيًا عليه، فإن في حبس البول المستعدِّ للخروج ضرراً على المثانة، وعلى العصب التي تمسك البول، لأنه ربما مع تَضخُّمِ المثانة بما أُنحقن فيها مِن الماء تسترخي الأعصاب، لأنها أعصاب دقيقة، وربما تنكمش انكماشاً زائداً، وينكمش بعضُها على بعض، ويعجز الإنسان عن إخراج البول، كما يجري ذلك أحياناً. وفيه أيضاً ضررٌ يتعلَّقُ بالصَّلاة: لأن الإنسان الذي يُدافع البول لا يمكن أن يُحضر قلبه لما هو فيه من الصَّلاة؛ لأنه منشغل بمدافعة هذا الخَبَث، وإذا كان حاقباً فهو مثله، والحاقب: هو الذي حَبَسَ الغائط، فيُكره أن يُصلِّي وهو حابس للغائط يدافعه، والعِلَّة فيه ما قلنا في عِلَّةُ الحاقن، وكذلك إذا كان محتبس الرِّيح فإنه يُكره أن يُصلِّي وهو يدافعها».[2]

والذي نلاحظه في هذه النصوص جميعها أن العلماء نظروا في شرحهم لهذا الحديث إلى الجانب المقاصدي، وذلك بارتكاب أخف الأضرار ودفع أعظم المفاسد، فوقوع البول في المسجد مفسدة، لكن الإضرار بصحة الأعرابي مفسدة أعظم، والتنجس قد وقع بالمسجد، فلا يضاف إليه مفسدة أخرى أعظم، وما هذا التحليل العلمي إلا تطبيق لعدد من القواعد الفقهية، منها: قاعدة "الضرر

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الطهارة، باب "كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة الصلاة مع مدافعه الأخبثين"، 393/1 ح560. ، كتاب الطهارة، باب "الأرض يصيبها البول كيف تغسل"، 176/1 ح 528. و أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب "أيصلي وهو حاقن"، 22/1 ح 89. وغيرهما.

(2) الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين، وينظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، 289/2، دار الآثار، القاهرة، ط1(2004م)

الأشد يزال بالضرر الأخف"[1]، وقاعدة "إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما"[2]، وقاعدة "يختار أهون الشّرّين".[3]

فهذا التوجيه المقاصدي لحديث الأعرابي، يبين أن السنّة النبوية لم تهمل رعاية صحة الإنسان وعنايته بنفسه، بل جعلت حفظ النفس من كل ما يؤذي أمنها وسلامتها من الأمور الكلية والمقاصد الكبرى التي يجب الاهتمام بها، فالنبي صلى الله عليه وسلم كما كان يسعى لحفظ الدين سعى أيضا لحفظ النفس، والذي من أسبابه الحذر والتوقي من الأمراض التي تجلب الضرر لجسم الإنسان.

رابعا ـ هل فهم الصحابة المدلول المقاصدي الصحي لحديث الأعرابي؟:

الذي نلاحظه من خلال لفظ الحديث باختلاف رواياته، ومن شرح وتحليل العلماء له، أن الحضور من الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، فهموا من النبي صلى الله عليه وسلم الرفق في الدعوة و التيسير على الأمة ونبذ التعسير، لأن التعسير ينفر و لا يقرب، ويفرق و لا يجمع، وأن النجاسة إذا وقعت في المسجد تزول بالماء، لكن الأعرابي إذا صدّ وفرّ من رحاب الله الطاهرة قد لا يعود. هذه المعاني هي التي فهمها الصحابة رضي الله عنهم.

أما الخوف والخشية منه صلى الله عليه وسلم على صحة الأعرابي فلم تكن للصحابة الآليات العلمية الكافية لفهم و استيعاب ذلك، إلا أنهم بحكم قوة إيمانهم وصحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يسمعون ويطيعون نبيّهم في كل ما أمر ويعتقدون جازمين أنه هو الحق من ربهم.

---

(1) شرح القواعد الفقهية، أحمد الزرقاء،ص145

(2) المصدر نفسه،ص147

(3) المصدر نفسه،ص 149

فحتى العلماء القدامى الذين أشاروا إلى المدلولات المستوحاة من هذا الحديث لم يذكروا إلا خوفه صلى الله عليه وسلم على صحة الأعرابي، دون أن يفصلوا في كيفية ذلك؛ لأن الأسرار العلمية الطبية لم تعرف بعد، ولذلك كان صنع النبي صلى الله عليه وسلم جزء من الوحي ظهرت أسراره وحِكمه بالاكتشافات العلمية الصحية الحديثة.

المبحث الثاني - أضرار قطع البول ومدافعته على الجهاز البولي في ضوء العلوم الطبية

أولا - مكونات الجهاز البولي ووظيفته:

إن معرفة الآثار السلبية لهذه العملية الميكانيكية الإرادية تتطلب توضيح تركيب الجهاز البولي ودوره في الجسم، إذ به يتم تحديد الضرر الذي يلحقه قطع البول، أومدافعته بأعضاء الجهاز البولي، إلا أن تكون ذلك بأمر طبي لمعالجة سلس البول مثلا.

1 - مكونات الجهاز البولي: يتألف الجهاز البولي من الأعضاء الآتية:

- **الكليتان:** (kidney) توجدان في الجزء العلوي الخلفي من تجويف البطن، بجانبي العمود الفقري.

- **الحالبان:** (ureter): وهو عبارة عن قناة تربط بين الكليتين والمثانة، حيث يخرج من كل كلية حالب، و ينتهي إلى المثانة البولية.

- **المثانة البولية:** (urinary bladder) هي مكان تجمع البول بعد خروجه من الكليتين مرورا بالحالبين، وتقع في الجزء الأمامي من الحوض. تبلغ سعتها ما بين (ML "CC"200 – ML"CC"300)

- **قناة البول:** عبرها يتم طرح البول إلى خارج الجسم، بواسطة فتحة البول.

2 ـ دور الجهاز البولي في الجسم:

يعمل الجهاز البولي دورا أساسيا في الجسم، فالكلية بطبيعة تركيبتها فهي تعمل على تخليص الجسم من المواد السامة، وخاصة مشتقات الأمونيوم (اليوريا) (UREA)، وبقايا الأدوية والسموم. كما تنظم عملية ضغط الدم عن طريق زيادة أو نقص إفراز هرمون الرينين (RENIN). وتحافظ على توازن الحمض القلوي للدم.

وتفرز هرمون إريثروبيتين (ERYTHROPOEITIN)، الذي يعمل على تحريض نخاع العظام على تصنيع كريات الدم الحمراء.

تحويل فيتامين دال (VITAMIN D) إلى صورته الفعالة.

وبعد تصفية الدم وترشيحه من (اليوريا) (UREA) والكرياتينين، ويتجمع البول في حوض الكلية، لينتقل بعدها عبر الحالبين و يصب في المثانة.

فبعد امتلاء حوض الكلية تتقلص العضلات الناعمة في جدرانها لتدفع البول إلى الحالب، الذي ينتفع بوصول البول إليه فتتقلص عضلات جداره بالتسلسل من أعلى إلى أسفل ليدفع لبول إلى المثانة، وببلوغ البول فيها 200 مليلتر إلى غاية 300 مليلتر تنتفخ وتشد العصبونات الموجودة في جدرانها مما يؤدي إلى ظهور الحاجة للتبول، فتتقلص عضلة المثانة، وترتخي معها عضلة صمام الإحليل فيندفع البول إلى خارج الجسم عبر فتحة البول.(1)

ثانيا ـ الأمراض التي تصيب الجهاز البولي:

1 ـ التهابات الجهاز البولي:

إن من أبرز الأمراض التي تصيب الجهاز البولي بداية بالإحليل، وانتهاء بالكليتين، هو الالتهابات وحدوث التضخم.

---

(1) الجهاز البولي وعمله، الدكتور: خليل رضا اليوسفي استشاري طب العائلة، الكويت، الموقع الإلكتروني: WWW.YOUR-DOCTOR.NET

أما بالنسبة للالتهابات فغالبا ما تكون متسلسلة تنتقل من عضو إلى آخر، ومصدر هذه الالتهابات قد يكون داخليا، وقد يكون خارجيا.

أما الالتهابات التي تصيب الجهاز البولي بسبب داخلي، فمثل التهابات الحنجرة واللوزتين وخاصة لدى الأطفال، فإذا وقع التهاون و لم تعالج في حينها فقد تنقل إلى أعضاء أخرى في الجسم، منها الكلية.

كذلك الالتهابات التي يكون سببها المكروبات التي تقطن طبيعيا في الأمعاء والتي لديها قدرة كامنة على النمو و التكاثر، فإذا وجدت وسطا ملائما، فإنها تتكاثر محدثة بذلك التهابات تنتقل من عضو إلى آخر.

هذه المكروبات تخرج مع الفضلات عبر فتحة الشرج ، وتصير من الأسباب الخارجية لالتهابات الجهاز البولي، و التي تتمثل أساسا في بكتيريا (E - COLI)، وفطريات الكلاميديا (CHLAMYDIA)، فتنتقل بسهولة إلى الجهاز البولي لقرب فتحة الشرج من فتحة البول، وخاصة لدى النساء التي لا يزيد لديها المسافة بين الفتحين عن 3سنتمترات، بخلاف الرجل الذي قد تصل لديه المسافة إلى 20 سنتمترا، و تنتقل المكروبات إليه بواسطة الجماع.[1]

2 - تضخم المسالك البولية:

وأما التضخم والاتساع الذي يصيب المسالك البولية وخاصة المثانة، فهو عبارة عن زيادة حجم المثانة وذلك بتمدد عضلات جدارها أكثر من مستواه الطبيعي، بسبب الضغط الذي يحدث فتوقا بها، مما يؤدي إلى عدم إحكامها وزيادة كميات البول المتبقية فيها.

هذا بالنسبة للالتهابات والتضخمات، أما عن بيان دور قطع البول و حقنه في حدوث ذلك نفصله فيما يلي:

([1]) ينظر: أمراض الكلى، أ. د. محمد صادق صَبور، ص62

ثالثا ـ أضرار قطع البول ومدافعته على الجهاز البولي:

1 ـ الأسباب الداعية للحقن الإرادي للبول وحبسه:

إن الأسباب التي تجعل الإنسان يؤجل طرح البول أو حبسه وقطعه، كثيرة ومتنوعة، منها: السفر الذي لا يستطيع معه التوقف، أو العمل الذي لا يجد فيه من يخلفه فيه؛ كأن يكون مكلفا بتشغيل أجهزة وتسييرها [1]، أو سجينا منع من طرح بوله، أو كان بغرض جمع بعض الصلوات في أوقاتها بوضوء واحد، أو حبسه في حال النوم. فهذه الأسباب وغيرها تجعل رد البول ودفعه سببا للإصابة ببعض الأمراض إذا تكرر ذلك عدة مرات، وقد يؤدي أحيانا إلى إصابات التهابية حتى في حال عدم التكرر إذا كانت الظروف مهيئة للإصابة.

2 ـ أضرار قطع البول وحقنه على المسالك البولية السفلى:

تتم إصابة المسالك البولية السفلى بالالتهابات غالبا عبر مراحل ثلاثة:

ـ تلوث منطقة المهبل و الإحليل بالبكتيريا من فتحة الشرج.

ـ انتقال البكتيريا عن طريق الإحليل إلى المثانة البولية, و من العوامل التي تسهل انتقال البكتيريا إلى المثانة, ممارسة العملية الجنسية بالنسبة للإناث، وقسطرة الإحليل والمثانة البولية.

ـ تكاثر البكتيريا في المثانة البولية.[2]

وهذه الالتهابات إذا لم تعالج بالقدر الكافي فسيمتد تأثيرها على الجهاز البولي العلوي.

([1]) الموسوعة الطبية الكاملة للأسرة، لجماعة من الأطباء المتخصصين (20 طبيبا)، تحرير سيغمند ستيفن لمر، ترجمة أنس الرفاعي، 977/2. نشر و توزيع دار الثقافة، الوحة بقطر، ط1 (1987م)

([2]) ينظر: التهابات المسالك البولية، د.خليل رضا اليوسفي، استشاري طب العائلة – الكويت. الموقع الإلكتروني: WWW.YOUR-DOCTOR.NET

ومن العوامل المساعدة على تكاثرها بعد انتقالها إلى أعضاء الجهاز البولي السفلي هو وقوع الانسدادت في المجاري البولية، أيا كان سببها، أو قطع البول وحقنه، "وذلك يؤدي إلى ركود كميات البول التي تعتبر مزرعة جيدة لنمو المكروبات المسببة للاتهابات".(1)

كما لا ننسى أن البكتيريا و الجراثيم توجد في البول الذي ينزل من الكلية بصفة طبيعية بقدر محدد (100000 في كل سنتلتر) دون أن يكون في الأمر أي التهابات، فإذا وقع انسداد أو حبس البول وحقنه، فإنه يؤدي إلى تجمع البول في مسالكه وركوده مما يهيئ وسطا مناسبا لتكاثر الجراثيم وتطور البكتيريا، إلى حد لا تتمكن فيه الجراثيم والبكتيريا من التغلب على مقاومة الجسم، فتحدث التهابات في أنسجة قناة البول والمثانة.(2)

والمثانة التي تعد إصابتها بالالتهاب من الأمراض التي يعاني منها الملايين من الأشخاص من الجنسين الرجال و النساء، لكن الدراسات أثبتت أنه يصيب النساء أكثر من الرجال، وهذا راجع لطبيعة تركيب الجهاز البولي و التناسلي لديهن.وهذا الالتهاب الذي يصيب المثانة، وإن لم يعده الأطباء خطيرا في مراحله الأولى إلا أن آثاره فيما بعد تعد من أخطر الأمراض، كما سنبينه لاحقا إن شاء الله تعالى.

فالمثانة إذا أصيبت بالالتهاب الجرثومي و البكتيري فإنه يؤدي إلى ندبات في جدارها مما يؤدي إلى تصلب منفذ الحالب في الجزء العضلي المثاني، والذي يعتبر المسؤول على ميكانيكية إغلاق المنفذ الحالبي في المثانة، حيث

---

(1) ينظر: حصوات الكلى، الدكتور حسين أمين، ص25 . 26

(2) ينظر: حصوات الكلى، الدكتور حسين أمين، ص25 . 26

إن هذا التصلب في هذا الجزء يؤدي إلى ارتداد البول إلى الحالب وبعدها إلى الكلى.(1)

هذا بالنسبة لتأثير القطع الإرادي للبول وحبسه في المسالك البولية السفلية، من حيث إصابتها بالالتهابات.

أما عن تأثير حبس البول ودفعه في تضخم و زيادة حجم قناة البول و المثانة، يكاد يكون أبرز من سابقه؛ إذ مدافعة البول و انسداد مجراه السفلي يؤدي حتما إلى تراكم كمية البول في المسالك البولية وانتفاخها، فنجد حوض الكلية يدفع البول إلى أسفل، مع عدم الاستجابة لندائها من طرف المسالك السفلية سيؤدي حتما إلى الضغط المتزايد على أنسجة المسالك مما يجعلها تتمدد لتستوعب من كميات البول أكثر من طاقتها الاستيعابية.(2)

فالأضرار المترتبة على قطع البول وحقنه هي ذاتها المترتبة على الانسدادات في المجاري البولية، لما تؤديه من التهابات و تضخم، الأمر الذي يؤدي إلى تكوّن الحصوات، وارتفاع ضغط الدم، مما يعيق المسالك البولية على أداء وظيفتها، وخاصة منها الكلية التي تصاب في مثل هذه الحالات بالتهابات حادة أو مزمنة.(3)

ولهذه الأضرار الجسمية المتعلقة بالجهاز البولي، نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن قطع البول وحقنه الذي يعد من أسبابه.

---

(1) الارتداد البولي الحالبي عند الأطفال، أسبابه وعلاجه بالمنظار: www.arabwideweb.com

(2) ينظر: أمراض الكلى، أ. د. محمد صادق صَبور، ص68

(3) مقابلة خاصة مع الدكتور طارق جلواط، اختصاصي في المسالك البولية، عيادة أمراض الكلى، قسنطينة، الجزائر، بتاريخ 2006/03/20

4 - حبس البول وحقنه من أسباب التهاب المسالك البولية العلوية:

تناولنا في مطلب دور الجهاز البولي عمل الكليتين و دورها الفعال في الجسم، مما يتطلب العناية الكاملة للمحافظة عليها، والأخذ بأسباب الوقاية الكافية لذلك.

ولما كانت الالتهابات البكتيرية و الانسدادات هي أبرز ما يصيب المسالك البولية السفلى، فإنها كذلك بالنسبة للجهاز البولي العلوي (الحالبان والكليتين).

وبعد وقوع الالتهابات في الطرف السفلي للجهاز البولي، نبحث هل وصل ذلك إلى الكليتين أم لا؟ لأن الخطر يكون أبلغ إذا انتقل إليها، لأنه بذلك تنتقل الميكروبات والجراثيم إلى الدم، كما يؤثر سلبا على الأداء الجيد لوظائف الكلى مما يصيبها تدريجيا بالفشل الكلوي. (1)

وكذلك انسداد المسالك البولية يؤدي إلى رفع الضغط داخل حوض أنابيب الكلى ويعوق إنتاج البول ويؤدي في النهاية إلى تعطل وظيفة الكلى.(2)

وينبغي ملاحظة أن أثر قطع البول وحقنه يبدأ تدريجيا، فيبدأ أولا بالتأثير في قدرتها على تركيز البول و إفرازها لبول شديد الحموضة، حتى يصل الأمر إلى تأثيرها على القدرة الترشيحية للكلى وذلك في مرحلة تلف الكبيبات.

وإذا كان هذا الأمر يؤدي إلى الاحتباس البولي الحاد، أو المزمن، الذي يؤثر على وظائف المثانة والكليتين، وقد « يؤدي إلى حدوث الفشل الكلوي، فإنه يحتاج إلى جراحة، سواء كانت عادية أو بواسطة المناظير؛ للحفاظ على سلامة وظائف الكليتين. ومريض الاحتباس المزمن تكون شكواه عادة قليلة،

---

(1) ينظر: أمراض الكلى، أ. د. محمد صادق صَبور، ص65

(2) أمراض الكلى، أ. د. محمد صادق صَبور، ص68

ويتم تشخيصه بواسطة الطبيب المختص. أما مريض الاحتباس الحاد فيمكن إعطاؤه فرصة بالعلاج الدوائي، وإذا ما فشل يكون التدخل الجراحي هو الحل الوحيد». (1)

وهذه الآثار السلبية على الكلى ووظائفها الحيوية، سببها عدة عوامل منها الحبس الإرادي للبول و تكرار حقنه.

قطع البول وحقنه من أسباب تكون الحصوات في البول:

أيضا من الآثار السلبية المضرة بصحة الجهاز البولي و الناتجة عن انسداد البول، أوقطعه و حقنه، هو تكون الحصوات في الجهاز البولي، ونوضح ذلك فيما يلي:

إن حجز البول في الجهاز البولي بدءا بفروع الكلية، إلى حوض الكلية، إلى الحالب، إلى المثانة، إلى مجرى البول، يجعل الجزء المحبوس وكأنه بركة راكدة سرعان ما تتكاثر فيها البكتيريا، وتختل كيمياوياتها و توازناتها، فتساعد على ترسب الحصوات. (2)

فهذه البكتيريا المتكاثرة تتطور محدثة الالتهابات، و تراكمات مشكلة بذلك الشوائب المعلقة التي تصبح نقطة جب تترسب عليها بلورات الأملاح . والتي سرعان ما تتكاثر . ثم تتجمع وتبدأ حلقة مفرغة تؤدي إلى تكوين الحصوات في نهاية المطاف.(3)

---

(1) المصدر نفسه، ص70

(2) حصوات الكلى، د. حسين أمين، بتصرف، ص25 . 26

(3) المصدر نفسه، ص26

الخاتمة

في ختام هذا البحث نستطيع تلخيص نتائجه فيما يلي:

1 - يعدّ حديث الأعرابي أنموذجا لكثير من أحاديث الباب التي حث فيها النبي صلى الله عليه وسلم على الوقاية من الأمراض، والعناية بصحة الأبدان.

2 - يفيدنا حديث الأعرابي أن السنّة النبوية الشريفة لم تقتصر في عنايتها على جانب حياتي واحد، وإهمال بقية ما عليه قوام الحياة واستقامتها، بل اعنت بجميع ما يهيئ للإنسان الحياة الهنيئة في رحاب الإيمان بالله وحده لا شريك له.

3 - يبرز لنا هذا الحديث أيضا أن هذه القضايا العلمية والصحية في السنّة النبوية هي جزء من وحي الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى).(1)

4 - إن قطع البول وحقنه في المجاري البولية من الأسباب المهمة لإصابة المسالك البولية بأمراض متعددة يرتبط بعضها ببعض.

---

(1) النّجم: الآية 3، 4